مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد:07 العدد: 02(2022) ص284-296

تجليات الآخر في شعر أبي الحسن علي الحصري القيرواني(420هـ-488هـ)

The Manifestations of the Other in the Poetry of Abi Al-Hassan Ali Al-Hussari Al-Qayrawani (420 H-488 H)

شـــاوي أسماء
جامعة الجلفة (الجزائر)
a.chaoui@univ-djelfa.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
02 اكتوبر 2021
تاريخ القبول:
10 جانفي 2022

الكلمات المفتاحية:
- ✓ تجليات الآخر
- ✓ علي الحصري القيرواني
- ✓ الشعر المغربي القديم

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استكناه موقف الأنا من الآخر من خلال الكشف عن شبكة من العلاقات والتي كان لها دوافعها وأثرها في توجيه شعر علي الحصري القيرواني وتعدد موضوعاته وتنوع صيغه الخطابية.

لقد أظهر الحصري الضرير موقفه من الآخر على تعدد أشكاله وصوره من خلال تجربة شعرية لها دوافعها الخاصة، فالحديث عن الآخر هو حديث عن الذات نفسها من وجهة نظرها، لأنه لا وجود للأنا بمعزل عن الآخر ولا وجود للآخر دون الأنا والتفاعل يبقى دائما قائما بينهما.

Article info

Received
02 October 2021
Accepted
10 January 2022

Keywords:
- ✓ *Manifestations of the Other*
- ✓ *Ali Al-Hossari Al-Qayrawani*
- ✓ *ancient Maghribi poetry*

Abstract :

This study aims to investigate the oneself's position towards the other by revealing a set of relationships that had their motives and impacts in directing Ali Al-Hossari Al-Qayrawani's poetry, the multiplicity of its topics, and the diversity of its discursive structures.

Al-Hossari the blind has shown his position towards the other in spite of his several forms and images through a poetic experience that has its own motives. Talking about the other is a talk about the self from its own point of view, because there is no oneself in isolation from the other and there is no other without the oneself and the interaction always remains between them

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

. مقدمة:

موضوع الآخر من الموضوعات التي اهتمت بها الدراسات النفسية والاجتماعية، ولم ينل حظه بالاهتمام في الشعر العربي القديم-حسب اطلاعنا- إلا في بعض الدراسات التي تطرقت إلى علاقة العرب بالأمم الأخرى، في هذا المقال أردنا أن نسلط الضوء على مفهوم الآخر وموقف الأنا منه عند الشاعر علي الحصري القيرواني الضرير وذلك للمنزلة التي حظي بها الشاعر بين شعراء الأدب العربي القديم والمكانة الأدبية التي تميز بها شعره، فهل الأنا عند الحصري لا تكتمل إلا بالآخر؟ ثم كيف استحضر الشاعر الحصري القيرواني الآخر في شعره رغم تعدد أشكاله وصوره؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا المنهج النفسي في قراءة النصوص الشعرية وتحليلها وأثناء متابعة أثر العلاقات في العملية الإبداعية.

1- مفهوم الآخر:

أ- لغة:

وردت كلمة "الآخر" في الكثير من المعاجم والقواميس اللغوية ففي "لسان العرب" وردت كلمة "الآخر" بمعنى: أحد الشيئين وهو اسم على أفعل، والآخر بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخّر، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلَتا فأبدلت الثانية ألفا لسكوتها وانفتاح الأولى قبلها، وتصغير" آ خر" أُويخر، والجمع آخرون، ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التذكير والتأنيث" (ابن منظور، (د ت)، الصفحات 12-13)، أما في "مقياس اللغة" فيرى أحمد بن فارس أن الآخر: أحد الشيئين وهو اسم على أفعل، والأنثى أخرى" (بن فارس، 1999، صفحة 123), في البداية وردت كلمة "آخر" بمعنى التأخر ثم صار بمعنى المغايرة كما ورد عند الزبيدي في قوله "الآخر بمعنى غير وأصله أفعل من أَخَرَ، أي تأخر فمعناه أشد تأخر، ثم صار بمعنى المغاير" (الحسيني، 1965، صفحة 31).

والآخر من جنس الذات، بمعنى "غير" كما في قول أمرئ القيس [من الطويل] (امرؤ القيس، 1958، صفحة 22)

إذا قُلتُ هَذا صاحِبٌ قَد رَضيتُهُ ...

وَقَرَّت بِهِ العَينانِ بُدِّلتُ آخَرا

تجتمع أغلب المعاجم والقواميس على أن كلمة آخر والتي حروفها الثلاثة المحركة بالألف الممدودة أولا والخاء المفتوحة تعني الغيرية (غير الذات).

ب- اصطلاحا:

الآخر هو "أي واحد مختلف دينياً أو عرقياً أو ثقافياً، يمكن أن يكون الآخر بل هو في الواقع آخر بكل ما يعنيه الاصطلاح، وبالتالي يمكنه أن يؤثر ويفعل ويلعب دوراً، فيمكنه أن يكون صديقاً أو عدواً مناقضاً أو مماثلاً قابلاً للنفي والقبول، جنة أو جحيم" (العودات، 2010، صفحة 20).

يعد الآخر مقوم أساسي من مقومات الذات فهي لا تتعرف على ذاتها إلا من خلال الآخر وبناء على ذلك تختلف صورة الآخر من شخص إلى آخر باختلاف الأنا التي تكسبه ميزات اجتماعية وفكرية ونفسية ....

قد يكون الآخر فردا أو جماعة وكذلك الأمر بالنسبة للذات غير أنه لا وجود للذات من دون آخر والعلاقة بينهما تتعدد صورها وأشكالها بقدر المنفعة والمضرة بين الآنا والآخر لأنه "ليس في استطاعة الإنسان أن يحبس نفسه في قمقم، فإن قطب الأنا لا يستطيع أن يعيش إلا في علاقته بقطب الغير حقا إن المرء يولد بمفرده ويموت بمفرده ولكنه لا يحيا إلا مع الآخرين وبالآخرين وللآخرين" (إبراهيم، (د ت)، صفحة 153)، لأن واقع الحياة يفرض ذلك.

2- الآخر- المرأة:

تشكل المرأة محور أساسي عند الشعراء على مر العصور الأدبية حيث تعكس أغلب القصائد صورة المرأة في أعين الشعراء ومن شعراء الطوائف الذين سلكوا مذهب العفة في شعرهم الشاعر الكفيف الحصري (أبو الحسين، 2005، صفحة 150)، الذي نظم ديوان المعشرات في نسيب امرأة واحد، تقوم أغلب قصائد هذا الديوان على ثلاثة محاور كبرى

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

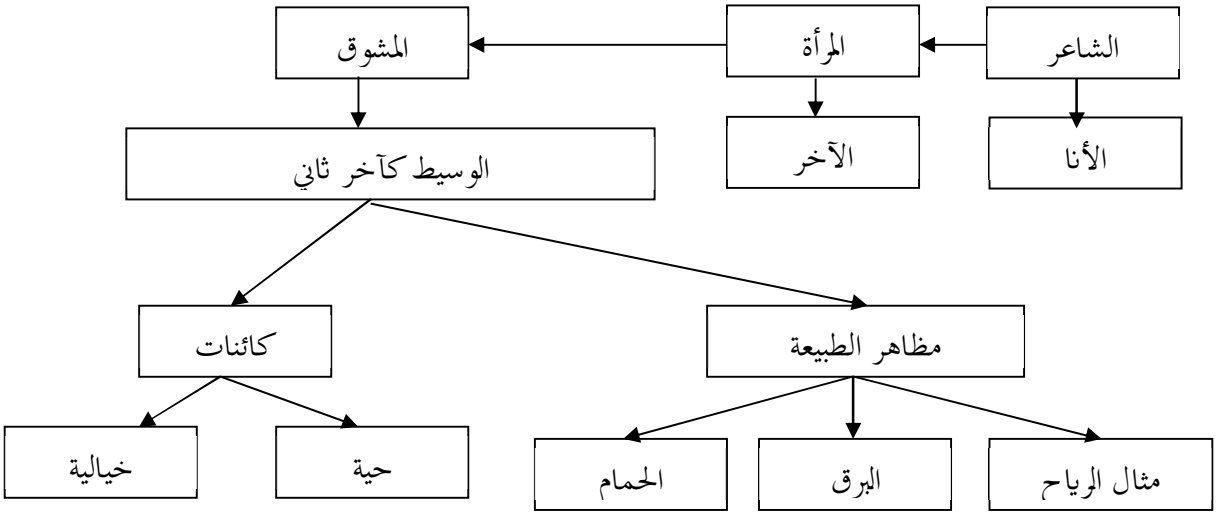

في علاقته مع الآخر حبيبا استعمل الشاعر أسلوبين، الأسلوب الأول انحصر في توجيه الخطاب إلى الآخر الحبيب، أما الأسلوب الثاني فهو الحديث عن الحبيب الغائب فما هي طبيعة هذا الخطاب وما هي موضوعاته وهل تؤثر موضوعاته على العلاقة بين الأنا والآخر؟

عُرف عن الشعراء العميان حب النساء " العميان أكثر الناس نكاحا" (الصفدي، 1911، صفحة 21)، تحدث عن هذه الظاهرة الصفدي في كتابه "نكت الهميان في نكت العميان"، والشاعر الأعمى دائما ما يرى نفسه مختلفا عن بقية الناس هذا الاختلاف ولد لديه الاحساس الدائم بالخوف من الآخرين ومن ثم يظل دائم الحاجة إلى من يحترس به من أذاهم وذلك ما وجده في الحبيبة، يقول الحصري [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 214).

تَهُبُّ رِياحُ المِسكِ مِن نَفَحاتِها ...
فَما اِستَنشَقتها الشيبُ إِلّا وَشَبَّتِ
تَراءَت لِعَيني في المَنامِ فَأَطفَأَت ...
بِزَورَتِها نار الهَوى حينَ شَبَّتِ
تَمَثَّلتها حَتّى إِذا ما تَمَثَّلَت ...
طَرِبتُ كَأَنّي قَد دَعَوتُ وَلَبَّتِ

استعمل الشاعر في أسلوب التعبير عن الآخر ضمير الغائب، فبعد غياب الحبيبة استحضر ذكراها الحصري دون ذكر اسمها بتوظيف وسائط مثل الرياح، المنام وكنتيجة للغياب تشتعل نار الهوى لتأتي رياح المسك التي استنشقها الشاعر فأطفئت نار فراق الحبيبة، في هذه العلاقة مثل الآخر (الحبيبة) برمز الخلاص من العذاب رمز السعادة والمودة.

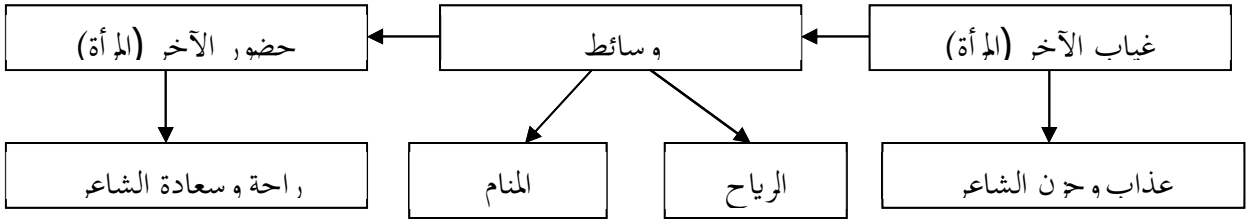

رغم الحضور الرمزي للآخر إلا أنه خفف من حدة حزن وشوق الشاعر

يعيش الحصري حالة انفصال عن الآخر (المرأة) الذي تربطه معه علاقة حب يقول [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 212).

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إذا كُنتَ خِلواً فاعذر الصَبَّ في الهَوى ... فَما المبتَلى وَالمستَريحُ سَواءُ

أَتَأمُرُني بِالصَبرِ عَمَّن أُحِبُّه ... وَهَيهاتِ ما لي في هَواهُ عَزاءُ

أَموتُ اِشتِياقاً ثُمَّ أَحيا لِشقوَتي ... كَذاكَ حَياةُ العاشِقينَ شَقاءُ

أَلا إِنَّ قَلبَ الصَبِّ في يَدِ حِبِّه ... يُقَلِّبُهُ في الحُبِّ كَيفَ يَشاءُ

إِلَيكَ فَلَو ذُقتَ الهَوى لَعَذَرتَني ... جُفونكَ وَسنى وَالفُؤادُ هَباءُ

أَنا لُمتُ أَهلَ العِشقِ قَبلَكَ في الهَوى ... فَها أَنا أَرى بَينَهُم وَأساءُ

أَصابَت فُؤادي أَسهُمُ اللَحظِ إِذ رمت ... فَلِلَّهِ قَتلى الأَعيُنِ الشُهَداءُ

يخاطب الحصري الآخر (المرأة) بضمير مذكر من باب العمومية، قد يكون هذا الآخر حقيقيا أو وهما من نسج مخيلة الشاعر (أتأمرني، إليك، فلو ذقت لعذرتني ...)، هذا الآخر (الحبيبة) محوري في الأبيات الشعرية، انفصل عن الذات الشاعرة نتيجة عوامل المنع فاشتدت صراعات الشاعر النفسية حتى أصبح الحب عنده يساوي الابتلاء، المعاناة والحرمان (المبتلى، العزاء، الموت، الشقاء ...).

موانع العشق "تحمي الافتقار وتحول دوننا ودون إشباعه حتى لا نتمكن أبدا من أن نمتلك، أو نكون مبعدين دائما عما هو قريب منا مبوئين دائما إلى الغربة" (بن سلامة، 2003، صفحة 424).

الأنا + الآخر = المواجهة = الموت

↓ ↓

الشاعر الحبيبة

تصور الشاعر المرأة رمزا للخلاص من الوحدة والحزن فتوجه الى النسيب لمواجهة غياب الزوجة التي خانته بعد كل ذلك الحب والاحترام الذي قدمه لها يقول [من السريع] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 341).

أَجازَتِ البَحرَ وَلَو عوقِبَت ... بِذَنبِها لَم تَبلُغ الشَطـــــآ

وَالبَربَر اِختارَت عَلى عُربِها ... وَسَوفَ تَهوى الروم وَالقِبـطا

كَأَنَّها مِن سَبـــــأٍ بُدِّلَت ... بِجَنَّتَيها الأَثلَ وَالخَمطـــــا

لَقَد شَفَت بِالبُعدِ لَو أَنَّها ... مِن تَنَّسٍ صارَت إِلى قِفطـــا

لا يفتأ الخطاب ينساب بضمير الغائب غير أنه موجه إلى زوجته أم غنى التي أحبها وهام بوصفها والتي خدعته مع بربري وفرت إلى بلد تنس بالجزائر.

بعد أن كان الشاعر في علاقة حب مع الآخر (الحبيبة) يتمنى وصالها أصبح في علاقة كره ونفور فهو يتمنى فراقها وابتعادها عنه أكثر حتى بلد (قِفطا).

يستعمل الشاعر في توجيهه للخطاب صيغة الماضي والحاضر إنه يخاطبها بما فعلته (أجازت البحر، اختارت، وبما ستفعله (تهوى الروم والقبط) هي في المستقبل ستخونه مع غيره من الروم وقبط.

رغم تصرفات الحبيبة ألبسها الشاعر صورة المثالية فهو الذي يدللها ويتجاوز عن بعض تصرفاتها الجارحة يقول [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 396).

بَذَلتُ العَطاءَ الجَزلَ كيما أَصونها .... فَباعَتكَ بِالأَوطارِ وَادَّعَت المِنعا

وَكُنتُ أُداريها وَأَرقي سِمامَها ... عَلى أَنَّ أَفعالي تسم بِها الأَفعى

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

رغم كل العطاء الذي قدمه الحصري للحفاظ على زوجته إلا أنها خائنة وفرطت به وبابنهما من أجل علاقة جسدية (باعتك بالأوطار).

في "علاقاتنا مع الآخرين أي تجاوز ومشروع للتحرر منها ولا بد وأن يمر بهذه العلاقة مع إمكانيات فشل هذا التجاوز، ولذلك فنحن لا نقدر على تجاوز الآخر مهما كان الأمر" (حرب، 1994، صفحة 31).

هذا ما نلتمسه في فترات توتر العلاقة بين الأنا والآخر والتي يتولد عنها الانفصال إما المباشر أو بالتدريج.

3- الآخر والولد:

جعل الحصري شعره مرآة عاكسة لمعاناته فقصائده بمثابة "فضاء شعري يعاد فيه إنتاج أنا الشاعر أي سيرته الذاتية, من خلال أنا المتكلم" (إسماعيل، 2006، صفحة 69), والتي لا يكتمل وجودها إلا من خلال الآخر فالحديث عن الآخر عند الشاعر جزء من حديثه ونظرته إلى ذاته وهي " صلة لا اختيار للشاعر فيها, فحوادث خاصة به توحي إليه بما تهوى, ولكل ظرف من ظروف تلك الحياة نتائجه في شعر الشاعر, يأتي إليه ويلهمه من حيث لا يشعر, وهكذا يكون الشعر صورة للنفس" (سويف، 1959، صفحة 332)، وصورة للآخر ومن بين هذه الظروف التي مر بها الحصري موت ابنه "عبد الغني" يقول في فقدانه [من البسيط] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 289).

وَكَأس ثكلٍ عَلى رِيٍّ شَرِبتُ بِها ... فَرُحتُ مِنها بِتَمريضٍ وَتَمريثِ
قالوا أَفِق لِعلاً يُؤذيكَ قُلتُ لَهُم ... لا يُؤلِمُ المنتَشي عَضّ البَراغيثِ
عِندي مِنَ الدَهرِ ما عَنهُم شغلتُ بِهِ ... وَالصِلُّ لَيسَ يُبالي بَالخَفافيثِ
تَوُفي الخَلَفُ الزاكي وَعِشتُ كَمَا ... تَرضى العِدا عَيشَ مَكروبٍ وَمَكروثِ
حَتّى أَعَافَ شَراباً لَستُ أَمزجُهُ ... بِعبرَتي وَطَعاماً غَيرُ مَغلُوثِ
وَكُنتُ في جَنَّةٍ حفَّت جَوانِبُها ... بالزرعِ وَالنَخلِ وَالأَعنَابِ وَالتوثِ
فَأَصبَحَت يَومَ أَودى وَهيَ خاوِيَةٌ ... جَرداءُ مِن كُلِّ مَغروسٍ وَمَحروثِ

لا ينظر الشاعر إلى موضوع الموت مستقلا بل مرتبطا بعبثية الوجود فالموت سرق ابنه دون أن يقوى على حمايته (جنيدي، 2012، صفحة 128).

الذات تعيش حالة موت معنوي ناتج عن شدة المعاناة والانكسار، هذا الاحساس أفقد الشاعر الاحساس بالحياة فتحول واقعه إلى فراغ.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

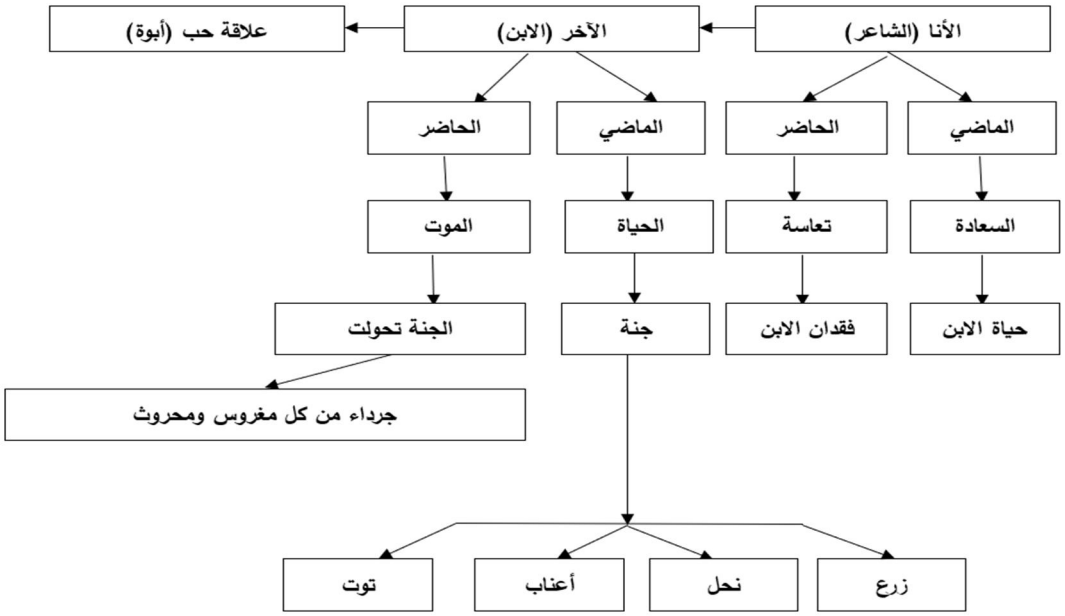

في كل مرة يعود الحصري الضرير للحديث عن الموت حتى يبين للمتلقي شدة وجعه وبؤسه بفقدان الآخر الذي كان يمثل الوجود، هذا الاصرار في توظيف معجم الحزن يوحي بعمق المعاناة" فالشاعر عندما يكرر وحدة معجمية بنفس الألفاظ أو بلفظ قريب منها، فإنه يقصد الإلحاح والتأكيد على عنصر دلالي (...)، ويعزز هذه الفكرة أن التكرار يتأثر دائما بالهواجس والأحاسيس الأساسية التي تدمن الحضور في البنية النفسية (طالب، 2000، صفحة 177).

يقول الحصري [من الرمل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 411):

لا أبالي بعد أن فارقته ... بغراب البين إن قيل نعق

لا أحب النسل بعد ابني ولا ... تطمع الحسناء مني بالعشق

حرم الشاعر على نفسه الزواج والتمتع بالأسرة بعد فراق ابنه، بموته لا بد من توقف دورة الحياة (النسل)، هو لا يستسلم للقدر الذي سلب ابنه بل يتحداه بالبقاء وحيدا حتى لا يجد القدر ما يسلبه منه مرة أخرى.

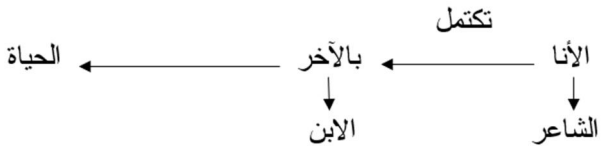

يقول الحصري [من المجتث] (الحصري القيرواني، 1963، الصفحات 325-326):

اذهَب لَكَ اللهُ جارُ ... وَجَنَّةُ الخُلدِ دارُ

اِذهَب بِحُسنِ عَزائي ... فَلَيسَ عَنكَ اِصطِبارُ

حَلالُ صَبري حَرامٌ ... وَسِرُّ ثَكلي جهارُ

هَيهاتَ كَيفَ أواري ... ما البَردُ مِنهُ أوارُ

يا قُرَّةَ العَينِ ما لي ... حَتّى أَراكَ قَرارُ

ذا الأُنسُ بَعدَكَ وَحشٌ ... وَذي المَغاني قِفارُ

نَهارُ ثُكلِكَ لَيلٌ ... لا كانَ ذاكَ النَهارُ

لا مَرحَباً بِحَياتي ... ماتَ الكِرامُ الخيارُ

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

تفقد الذات ذاتها بفقدان الآخر (لا مرحبا بحياتي)، يخاطب الشاعر الآخر (الابن) وكأنه ماثل أمامه أو أنه يخاطب نفسه على سبيل التنبيه إلى موضوع الكلام، هذا الخطاب جاء بصيغة الأمر (اذهب) والنداء (يا قرة) وهما يتنسبان مع طبيعة الخطاب فالشاعر يفصح عن مشاعره الحزينة لابنه لا يكتفي بذلك بل يرفض الرضى بالقدر لأنه منعه من البقاء رفقة سنده في الحياة، الأنا الشعرية، تمثلت الأنا الشعرية في النص الشعري في "ذلك الضمير الشعري الذي تحول في النص الشعري ليحقق الوعي الذاتي داخل النص ويظهر بضمير المتكلم و المخاطب والغائب، إنه مجموعة الضمائر التي تنشد الوحدة فيما بينها لتشكل في نهاية الأمر مفهوما كليا عاما للأنا الشعرية داخل النص وعلى ذلك يصبح لكل نص شعري أناه الشعرية التي تتحدد من خلال تفاعل تلك الضمائر داخل النص، وعن طريق شبكة العلاقات النحوية المتعلقة بفعل الأنا وموقعها" (الحداد، 2009، صفحة 194)

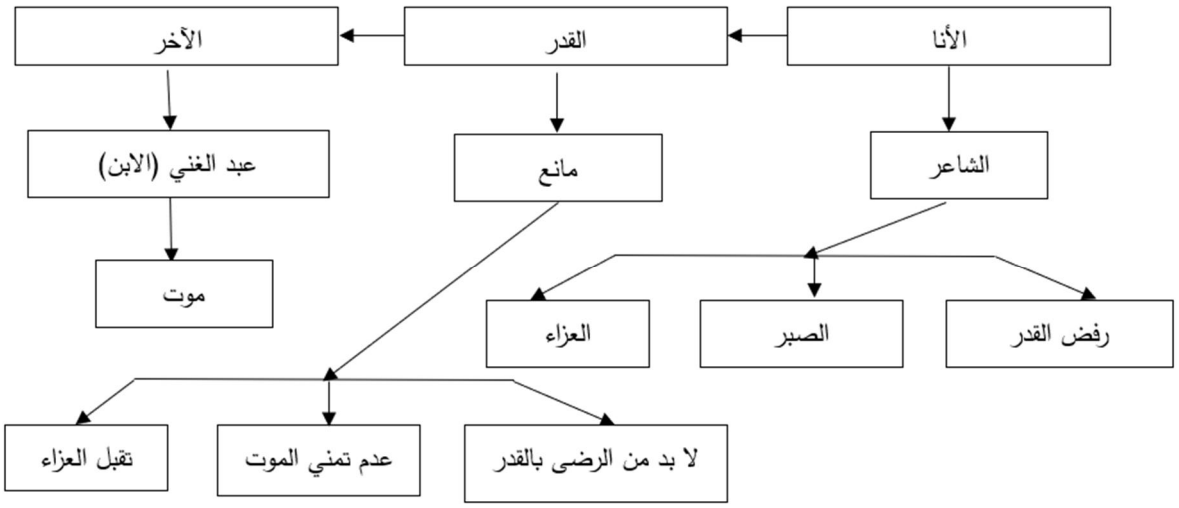

يقول الحصري [من الخفيف] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 278):

كان عبد الغني للعين نورا ... ولقلبي هدى وللعيش طيبا

ابنه لم يكن مجرد ابن تجمعهم علاقة الابن والأب بل هو عين الشاعر على العالم الخارجي (المرئي) واهتداء الفؤاد نظم في رثائه الشاعر ديوانا كاملا سماه "اقتراح القريح واجتراح الجريح".

غير أن الحصري الضرير ينتبه لأخطائه باللجوء إلى تعاليم الدين الإسلامي يقول من [من الخفيف] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 401):

سأَلني الناسُ ما دَهاهُ وَلم ... أرعفَ حَتّى كَأَنَّهُ دُمِعا

أَستَغفِرُ اللهَ كَيفَ قُلتُ لهم ... بَعضُ الأعادي عَلى الحبيبِ بَغى

وَلَو هَدى الله قلتُ إِذ سَأَلوا .... سِنوهُ تَمَّت وَرِزقهُ فَرغا

الحَمدُ لِلَّهِ لا شَريكَ لَهُ ... بِإِذنِهِ كُلّ حَيَّة لدغا

يصرح الشاعر بضعفه أمام مقدرة الخالق فموت ابنه بسبب الرعاف سببه الأجل ويستغفر به ويحمده على مصابه.

الأنا ← الرضا التام بقضاء الله ← تقبل فقدان الأخر (الابن)

↓

الشاعر.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

بعد أن كان الشاعر يرفض فكرة الانفصال عن ابنه ها هو ينصاع أمام قدر الله عز وجل ويتقبل مصير ابنه بكل حكمة،

- الآخر الحاسد:

لم يستطع الشاعر التكيف مع محيطه وتقبل الآخرين" وتتجلى ظاهرة عدم التكيف، كما يسميها علماء النفس في التركيز الزائد في الجد حول الذات حينما لا تنسجم النفس مع ذاتها، أو مع محيطها الاجتماعي وفي عدم الاستقرار العاطفي، والعصبية وكثرة القلق" (الفيفي، 1996، صفحة 163)، هذا الإحساس ليس وليد بيئة جديدة(الأندلس) وإنما وليد حالة نفسية ناتجة عن عاهة العمى والاحساس بالنقص "فطبيعة المجتمع الذي كان يحيا فيه، وردود أفعاله السلبية تجاه الأعمى، التي جذرت في نفسه الإحساس بفداحة المصاب وعمقت في ذهنه فكرة الاختلاف عن الآخرين" (الفيفي، 1996، صفحة 163).

يقول الحصري القيرواني [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 409):

هَل عادَةُ المشتاقِ لَيلَةَ عيدِهِ ... وَصَباحِهِ إِلّا بُكاً وَرَسيسُ

دَمِيَ المحالُ وَما نَحَرت وَإِنَّما ... إِنسانُ عَيني في دَمي مَغموسُ

وَسَدَدتُ بِابي عَن عِدايَ ثَلاثَةً ... خَوف البُكا وَالشامِتونَ جُلوسُ

وحين خانته زوجته قال: [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 107)

تَغيّبتَ فالأعداءُ بي منك تشمتُ .... تؤلّف شملي تارةً وتشتّتُ

عند التمعن في هذا البيت يتبين لنا العلاقة بين الأنا والآخر وهي علاقة كره وبغض ترقى إلى الإلغاء.وحتى ابنه "عبد الغني" ما كان ليموت لولا أعين الحساد حسب اعتقاده يقول [من المديد] (الحصري القيرواني، 1963، الصفحات 308-309):

كانَ في عَبدِ الغِنيّ غِنىً ... عَنهُ حَتّى حَسَّهُ الحَسَدُ

طَرَقَتني العَينُ فيهِ وَقَد ...عاصَ وَاِشتَدَّت بِهِ العَضُدُ

نَبا بَصَري فَنابَ القَلبُ عَنهُ ... وَبِتُّ بِهِ أَلحُّ وَلا أَليحُ

أَلَم تَرَ أَنَّني بِهُدى فُؤادي ... تَبيّنَ لي مِنَ الحَسَنِ القَبيحُ

لقد خفف اللجوء إلى تعاليم الدين الإسلامي من معاناة الشاعر.

بَنو عَصرِنا إِلّا أَقَلّ بَقِيَّةٍ ...

إِذا اِنتَقَدوا كَالدِرهَمِ المتزيّفِ

يأس الشاعر من وجود الأصدقاء في عصره المزري ولعل ذلك لا يرتبط بأوضاع العصر فقط وإنما بنفسية الشاعر " فالحصري على غرار العميان كان وحشي الغريزة ووحشية الغريزة نزعة سلبية تسيطر على نفوس جميع العميان" (الفيفي، 1996، صفحة 167) يقول عنه ابن بسام(ت542هـ) " كان ضيق العطن، مشهور اللسن يتلفت إلى الهجاء تلفت الظمآن إلى الماء" (ابن بسام، 1979، صفحة 192).

ما زاد من حزن الحصري شماتة الأعداء فبعد موت ابنه أغلق باب بيته أمام المعزين ثلاثة أيام خشية أن يروه باكيا وللأسف صادف يوم دفنه يوم الاحتفال بعيد الأضحى فقال: [من الكامل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 421)

لا يتوقع الحصري الضرير من الآخرين إلا نظرة التشفي والانتقاص ولذلك نجده يسارع إلى تفادي الاتصال معهم من باب الادعاء بأنه عليم بما تخفيه نفوسهم نافيا النقص عن نفسه يقول [من الوافر] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 301):

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

هذه العلاقة الضدية (التعارض، الانفصام) جعلت الأنا تلتفت إلى نفسها لإبراز مواطن قوتها وإثبات ذاتها يقول الحصري [من الوافر] (الحصري القيرواني، 1963، الصفحات 334-335):

وقالوا قد عميتَ فقلتُ كلّا ... فإنّي اليومَ أبصرُ من بصيرِ

سوادُ العين زاد سوادَ قلبي ... لِيجتمعا على فهْمِ الأمورِ

ينكر الشاعر معاناته نتيجة عاهة العمى فهي نعمة عليه لا نقمة ومثل هذه الظاهرة موجودة في الشعر العربي القديم، فالذات الشاعرة تنتقل من بوتقة الانكسار والظلام والحزن إلى مرحلة ابراز القوة.

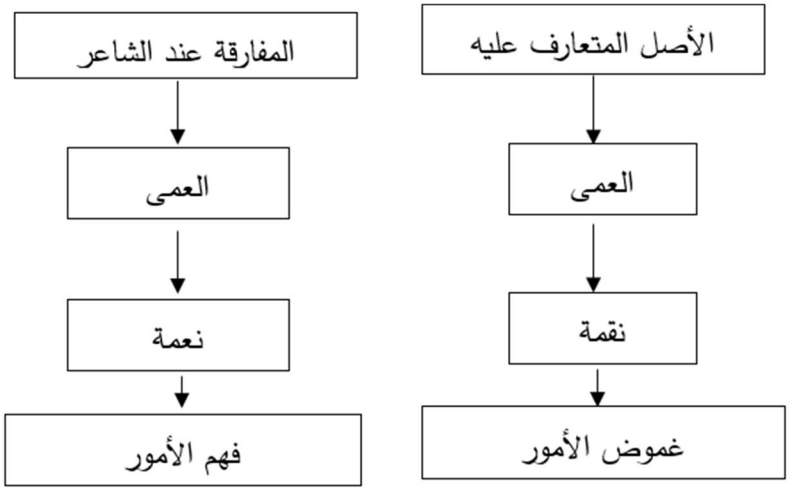

إذا كان الشاعر قد حاول تغطية النقص الناتج عن عاهة العمى فقد كشف عن شخصية مضطربة حاقدة على الآخر "سواد قلبي" وهذا أمر متوقع من شخص كان يبصر وصار كفيفا ففي ديوان "اقتراح القريح واجتراح الجريح" لا نكاد نعثر على قصيدة تخلو من الإشارة إلى عدو أو حسود فبعد وفاة ابنه صار كل المجتمع عدوا للشاعر لأنه فقد سنده في الحياة بقيت الأنا (الشاعر) بعيدة عن الآخر متخذة لغة الرفض فهي ترفض المصالحة معهم أو حتى إمكانية اللقاء بهم يقول الشاعر [من الخفيف] (الحصري القيرواني، 1963، الصفحات 334-335):

فَلَئِن حَلَّتِ الرزِيَّةُ في اِبني ... وَاِشتَفى بي عَدُوّي المتَحَزّي

فَوَرَبّي لَيَشرَبَنَّ بِكَأسٍ ... شربَ اِبني بِها وَعقباكَ تَجزي

بعد وصف الشاعر أعداءه بالشامتين وصفهم كذلك بالأعداء وغيرها من التسميات المنبوذة ومن بين خصومه من صرح باسمه مثل النحوي "الحسن بن الطراوة المالقي"(ت528هـ) الذي رفض الصلاة على جنازة ابنه "عبد الغني" فوصفه "بالفقيه المشعوذ" يقول [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 315):

سعى النورُ حَولي نَعشهُ وَعِداتهُ ... تَقولُ زَكا مَن كانَ مَشهَدُهُ كَذا

وَصَلّى عَلَيهِ المسلِمونَ بِأَسرِهِم ... وَقاضي التقى إِلّا الفَقيهَ المشعوذا

رغم أن الآخر فقيه إلا أنه مشعوذ هذا الوصف زاد من دلالة حدة كره الشاعر للآخر بسبب فعلته الشنيعة التي لم يقدم عليها غيره من المسلمين.

كما وصف الشاعر الآخرين بالأفاعي يقول [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 394):

لِيَبكِ عَلَيكِ وَليندُب غَريبٌ ... يعدُّ أَباهُ غُربَتَهُ مَضاضا

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

يُكابِدُ عيشَهُ بَينَ الأَفاعي ... وَيَصبِر كُلَّما أَلَم العِضاضا

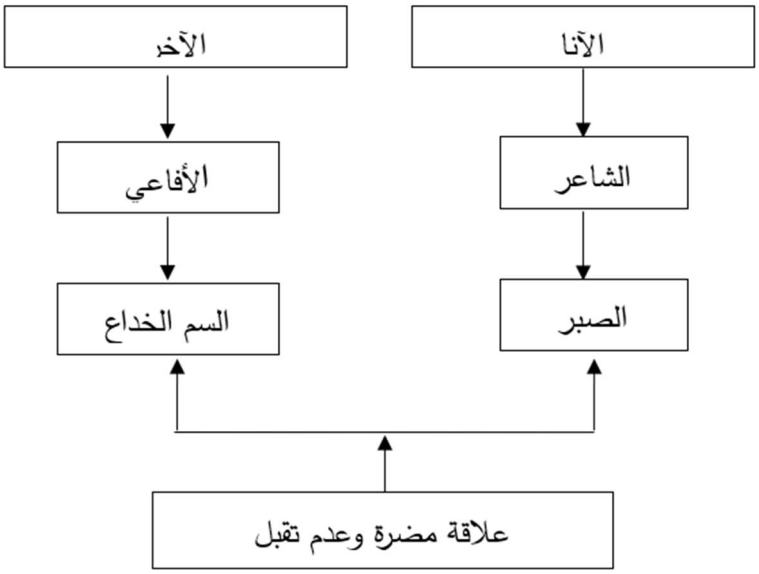

بعد أن أُبعد الشاعر عن مكان ألفته وعن أهله بدأت مأساة تعامله مع الآخر الحاسد فهو إما يعترف بحقيقة علاقته معه مباشرة أو بصفة بما هو عليه من صفات دنيئة.

5- الآخر شخصيات أخرى:

أ- الوالد:

على الأغلب فقد الشاعر والدته قبل ولادته فهو تحدث فقط عن والده الذي كان محور حياته في مناسبتين فقط في الديوان. الأولى في توديعه لقبر والده قبل الرحيل إلى الأندلس والثانية في إحدى مرثياته لابنه "عبد الغني" يقول [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 129):

أبِي نَيِّرُ الأيّام بعدكَ أظلما ... وبنيانُ مَجدِي يومَ متَّ تَهدَّما

وجسمِي الّذي أَبلاه فقدُكَ إن أكن ... رحَلتُ به فالقلبُ عندَكَ خيَّما

سَقَى اللهُ عيناً مَن تَعَمَّدَ وقْفَةً ... بقَبرِك فاستسقَى له وترَحَّما

وقال سلامٌ والثَّواب جزاءُ مَن ... ألمَّ عَلى قبرِ الغَرِيبِ فَسلَّما

خاطب الشاعر الآخر باسمه "أبي" مباشرة في بداية الأبيات ثم أخذ يصفه بأوصاف تحدد مكانته بالنسبة إليه ومدى حبه وحزنه عليه، فالأب بالنسبة لشاعر ضرير مثل الحصري يمثل عينه على العالم المرئي وسنده في الحياة بفقدانه فقد الشاعر صلته بالعالم الخارجي فتحطمت نفسيته لأن الآخر كان يمثل الوجود بالنسبة إلي.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

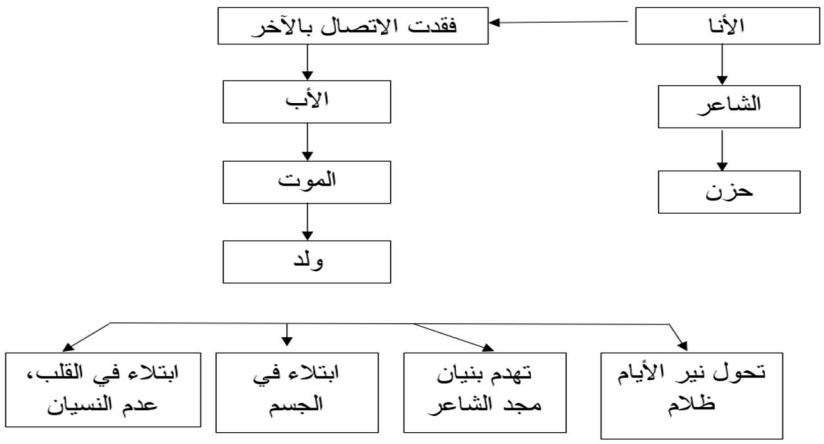

يقول الشاعر [من الوافر] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 129):

رحَلْتُ وهَا هُنا مَثْوى الحبيبِ ... فمن يَبْكِيكَ يا قبْرَ الغَرِيبِ

سأحمِلُ من تُرابكَ في رِحالِي ... لكي أغني بهِ عن كلِّ طيبِ

يخاطب الشاعر الآخر بمسميات مختلفة (الحبيب، الغريب) فبعد أن فقد الحصري الاتصال بالآخر (الوالد) (رحلت) ها هو يحاول أن يبقي ذكرى والده في قلبه بأخذ حفنة من تراب قبره، هو – الشاعر- لا يستطيع أن يراه أو يسمعه أو يلمسه فليكتفي بشم رائحة تراب قبره لإحداث نوع من التواصل الروحي بينه وبين الآخر فرائحته أطيب من كل طيب.

ب- الممدوحون:

مدح الحصري الملوك والأمراء والفقهاء والأدباء والقضاة يقول علي الحصري القيرواني الضرير في مدح "أبو المطرف الشعبي"(ت497هـ) أحد أشهر علماء الأندلس [من المتقارب] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 121):

أَمولِيَ شرُفْتُ به أَم صَديقُ ... يُواصِلُنِي حينَ يجفو الشَّقيقُ

تملكني ومنى ملكهُ ... فحسبُ مَعاليهِ أَنَّا رَقيقُ

سَقَانِي وأَخْلاقُهُ جَنَّةٌ ... فمنها الرِّياضُ ومنها الرَّحيقُ

لا يخاطب الشاعر الآخر (الفقيه أبو المطرف الشعبي) باسمه وإنما بكلمة "صديق" والتي تحيل على طبيعة العلاقة بينهما، لا يكتفي بهذه الكلمة بل يتابع وصفه بأوصاف حميدة بعد أن أحسن استضافته في بيته بعد قدوم الشاعر من القيروان.

بِرَيَّة ريَّا رَوضَةٍ وَرِياضِ ... بها عَلما عِلْمٍ وأَعْدَلُ قَاضِ

مَعاليهما فوقَ النُّجُومِ مُنِيفَةٌ ... ورأيهما في المشرفيّة ماضِ

سَئمتُ حياتِي والمقامَ بطَنْجَةٍ ... كأنَّ بِلادَ اللهِ غَير عِرَاضِ

سَيُورِقُ عُودِي إنْ سَكنتُ بريَّةٍ ... وَيسودُّ من فَوْدَيَّ كلُّ بياضِ

لدَى قَمَرَيْهَا إنَّ في غُرَّتَيْهِما ... هِداية عُميانٍ وَبُرْء مِرَاضِ

يوجه الشاعر خطابه إلى شخصين: " الفقيه أبو المطروف الشعبي وأبو مروان بن حسدون", حيث يصرح برغبته وقد أرسل الشاعر قصيدة مدحية من طنجة إلى الشيخين: "أبو المطرف الشعبي، وأبو مروان بن حسدون "هذا الأخير أحد تلاميذ الشيخ الأول [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 123):

في جوارهما (سئمت حياتي والمقام بطنجة) لما في ذلك من أنس وراحة وشفاء من المرض والهم (هداية عميان وبرء مراض).

الاتصال بالآخر = الراحة، الأنس، الشفاء من الجهل، السعادة، الحياة، الهداية...

الذات تحاول الاحتواء والتعايش مع الآخر لأنها لا تتكون بمعزل عن الآخر يقول الفيلسوف "كارل ياسبرز ": (أنا لا أكون شيئا حين أكون موجودا مجرد وجود وأنا باعتباري ذاتي

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أكون مستقلا، ولكنني لا أكفي نفسي ولا أكتفي بآنيتي إلا بمشاركتي العالم الذي أتحرك فيه" (صلاح، 2003، صفحة 99). فصورة الذات مرآة لصورة الآخر أو العكس، وجود "أنا" دون وجود آخر، واستخدام أي منهما يستدعي صورة الآخر، فصورتنا عن ذواتنا لا تتكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا" (الذويخ، 2009، صفحة 9).

وَسَمّيت بِاسمِ الحرّ عَبداً مَدَحتهُ ... فَقُلتُ كَريم الجدِّ وَهوَ اِبنُ مقرفِ
وَذمتُ أُناساً لَو حَلمتُ لِجَهلِهِم ... رَبِحتُ وَنَقَّفتُ الَّذي لَم أنقّفِ
وَعِشتُ بِمَغصوبِ المِلوكِ كَأَنَّني .... أَموتُ طوىً لَو عفتهُ لِلتَعَفُّفِ

علاقة الأنا بالآخر مثل هذه المواقف أساسها المصلحة والظروف فهي لا تقوم عن عاطفة صادقة، لكن الذات أبت في هذا السياق الشعري أن تتنازل عن مبادئها وصرحت بخطئها في تصوراتها عن الآخر وهي الأن تعيش حالة ندم ونفور من الآخر المزيف، فموقف الأنا من الآخر ليس ثابتا بل مرتبطا بالمقام وقابل للتغيير بتغير الظروف.

الخاتمة:

وصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى ما يلي:

- الشاعر ينظم شعره عن تجربة شعرية لها دوافعها الخاصة نحو الآخر.
- لا وجود للأنا بمعزل عن الآخر ولا وجود للآخر دون الأنا وإن اختلفا فالتفاعل يبقى قائما بينهما.
- الحديث عن الآخر هو حديث عن الذات نفسها من وجهة نظرها.
- وجد الحصري أنسه وسنده في والده وزوجته قبل خيانتها وفي ابنه "عبد الغني".
- للمرأة تأثير واضح في حياة الشاعر ففي ظل الوفاق مثلا يصبح الارتباط بينهما معادلا للوجود ورمزا للحياة.
- علاقة الشاعر مع ابنه "عبد الغني" المتوفى كانت أصدق وأصفى لحظات العلاقة وأكثرها حزنا وقد نظم الشاعر في العادة يصف الآخر لأخلاقه وصفاته غير أن الشاعر اكتشف عكس ما وصف به بعض الشخصيات فصرح بندمه على ذلك يقول [من الطويل] (الحصري القيرواني، 1963، صفحة 407):

فيها الشاعر ديوانا كاملا بعنوان "اقتراح القريح واجتراح الجريح".

- علاقة الشاعر مع الآخر الحاسد سادها الكره والتشاؤم، وعدم التقبل، فالأنا دائما في مواجهة الآخر وفي كل موضع تتغير الأساليب.
- رغم الدراسات التي تناولت جوانب من شعر الحصري القيرواني مازال شعره بحاجة للتعمق في الدراسة مثلا نقترح توظيف المناهج النقدية المعاصرة في تحليل نصوصه الشعرية الكلاسيكية والتي لاحد لها من التنوع والثراء.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قائمة المصادر والمراجع

- أبو الحسن الحصري القيرواني. (1963). *ديوان أبي الحسن الحصري القيرواني* (ط1). تح محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج. تونس: مكتبة المنار.
- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور. ((د ت)). *لسان العرب*. بيروت. لبنان: دار صادر.
- أحمد، بن فارس. (1999). *مقاييس اللغة*.تح عبد السلام هارون. بيروت: دار الجيل.
- جندح بن حُجر بن الحارث الكندي امرؤ القيس. (1958). *ديوان امرئ القيس*. تح أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار المعارف.
- حسين العودات. (2010). *الآخر في الثقافة العربية من القرن السادس حتى مطلع القرن العشرين* (ط1). بيروت: دار الساقي.
- رجاء بن سلامة. (2003). *العشق والكتابة* (ط1). ألمانيا: منشورات الجمل.
- رضوان جنيدي. (ديسمبر, 2012). مأساوية الموت في الشعر المغربي القديم علي الحصري القيرواني (420 هـ 848 هـ) أنموذجا. *مجلة إشكالات*.عدد1، الصفحات 124-143.
- زكريا إبراهيم. ((د ت)). *مشكلة الإنسان*. القاهرة: مكتبة مصر.
- سعاد حرب. (1994). *الأنا والآخرون والجماعة* (ط1). بيروت،لبنان: دار المنتخب العربي.
- سعد فهد الذويخ. (2009). *صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي*. الأردن: عالم الكتب الحديث.
- صالح صلاح. (2003). *سرد الآخر* (ط1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
- صلاح الدين الصفدي. (1911). *نكت الهميان في نكت العميان*. عني بطبعه أحمد زكي. مصر: المطبعة الجمالية.
- عباس يوسف الحداد. (2009). *الأنا في الشعر الصوفي ابن الفارض أنموذجا* (ط2). سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- عبد الله المغامري الفيفي. (1996). *الصورة البصرية عند الشعراء العميان "دراسة نقدية في الخيال والإبداع "* (ط1). السعودية: النادي الأدبي بالرياض.
- عز الدين إسماعيل. (2006). *كل الطرق تؤدي إلى الشعر* (ط1). لبنان: الدار العربية للموسوعات.
- علي بن بسام الشنتريني ابن بسام. (1979). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*. تح إحسان عباس. (المجلد 1). (ط1).لبيا،تونس: الدار العربية للكتاب.
- عمر محمد طالب. (2000). *عزف على وتر النص "دراسة في تحليل النصوص الشعرية"*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.
- محمد صبحي أبو الحسين. (2005). *صورة المرأة في الأدب الأندلسي* (ط2). الأردن: عالم الكتب الحديث.
- مرتضى الزبيدي الحسيني. (1965). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تح عبد الستار أحمد فراج. (ج10) الكويت: مطبعة حكومة الكويت.
- مصطفى سويف. (1959). *الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة* (المجلد ط2). مصر: دار المعارف.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)